مهد اللغة

العدد الرابع – 1989

الاخ الاستاذ الكاتب
سعيد خاكزاد الخفر
امين
١٣١٢/١٢/١٤

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

(اسست في الهند سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)
تصدر مرّة كل ثلاثة أشهر

صاحبها ورئيس تحريرها
محمد سعيد الطريحي

الاشتراك السنوي للافراد 30 $ وللمؤسسات 50 $

تطبع في بيروت وتوزع الى انحاء العالم :
ملتزم التوزيع : مؤسسة أيوب للتوزيع
شارع كليمنصو - بناية الأشقر - الطابق الأول
بيروت - لبنان ص.ب : ٦٣٩٣ / ١١٣
هاتف ٣٦٨٥٣٥ - ٣٦٨٥٣٨
كافة الاشتراكات ترسل إلى :
مجلة الموسم (محمد سعيد الطريحي) لبنان - بيروت - بنك ميكو (فرع شتورة) رقم الحساب : 07. 07. 01. 471659
تلكس رقم : 20729 Mebcgmle
Mawsem Magazne
MOHAMED SAEID TURAYHI
A/C No. 07. 07. 01. 471659
TELEX : 20729 Mebcgmle
MEBCO EAST BANKING Co. S. A. L.
CHTAURA BRANCH Lebanon

shiabooks.net

مرقد السيدة زينب
في سنجار (شمال العراق)

الدكتور حسن كامل شميساني

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

«سنجار مدينة معروفة من مدن العراق الشمالي تقع في جنوبي نصيبين عن يمين الطريق الى الموصل ، على اتصال بمعظم مدن الجزيرة ، اشتهرت بكونها مدينة الطرق والقوافل منذ القديم لانها سيطرت على الطريق بين العراق وسورية ، وتقع فيها جبال سنجار التي يبلغ ارتفاعها نحو ٤٨٠٠ قدم وتعد من اعظم الجبال الشرقية في بلاد الجزيرة ، واشتهر في سنجار الكثير من المراقد والاضرحة المنسوبة لآل البيت وقد اقيمت منذ القرون الهجرية الاولى اي منذ خضوع سنجار للدول الشيعية المذهب كالفاطميين والبويهيين والحمدانيين والعقيليين فقد شجع ملوك تلك الدول بناء هذه الاضرحة واستخدموا من اجلها امهر البنائين والصناع فجاءت ابنيتها آية في الروعة والمتانة ، وتخضع هذه الاضرحة الآن لنفوذ اليزيديين وهؤلاء لهم ديانة معروفة خاصة بهم وقد حافظوا على ولائهم لأصحاب هذه المقامات واحترامهم وتعظيمهم وتكريمهم ومن تلك المشاهد المرقد المنسوب للسيدة زينب الكبرى بنت علي بن ابي طالب عليه السلام ، والذي ابتدأ امره بمرور سبايا واقعة الطف في هذه المنطقة ، وهذه تفصيلات موثقة قدمها الدكتور شميساني وهو من المتخصصين في تأريخ سنجار وتراثها»

أ ـ **موقعه** : يقوم هذا الضريح على ربوة عالية في مدخل المدينة . وينسب الى السيدة زينب بنت الإمام علي بن ابي طالب (سلام الله عليهما)[1] .

ب ـ **اوصافه ومحتويات بنائه** : استنادا الى المشاهدات والنصوص الحديثة نقول : ان هذا الضريح يتكون من فناء واسع . يدخل اليه من باب صغير . وهذا الفناء اتخذ بأكمله مقبرة . ينزل الى البناء من مدخل يقع الى اليمين بدرجتين تؤديان الى غرفة مربعة الشكل تقريباً ،

ابعادها ـ كما حددها المهتمون بالآثار ـ ٣,٤٠×٣,٦٢م . والمسافة بين المدخل والغرفة هي عبارة عن ممر يبلغ طوله : ٤,٣٠م×٣,٣٠م . على جانبيه غرف مربعة مداخلها من الرخام .[٢]

في جدار الغرفة المربعة الجنوبي محراب مصنوع من الحجر والجص ـ سيأتي الكلام عنه ـ وغطيت هذه الغرفة بقبة مظهرها الخارجي نصف كروية ، تقوم فوقها قبة أخرى محارية الشكل . يتوسط الجدارين الشرقي والغربي مدخلان شيدا من الحجر . يؤدي المدخل الذي الى يمين الداخل (المدخل الأيمن) الى غرفة صغيرة مربعة الشكل ابعادها : ٣,٤٠م×٣,٣٠م وهي خالية من النقوش .

على عقادة الباب يوجد عبارة : «راجي رحمة ربه المعروف بالرَشيد[٣]» . اما المدخل الذي يوجد الى يسار الداخل (المدخل الأيسر) فيعلوه عقد مزخرف بنقوش نباتية محفورة في الحجر ، وهو يؤدي الى غرفة الضريح . وهذه الغرفة هي مستطيلة الشكل ابعادها : ٥,٤٠م×٣,٧٣م . وفي وسطها القبر المشيد من الحجر والجص . ويوجد على بعض قطعه كتابات من آية الكرسي وضاعت بقية الكلمات ، وفي هذه الغرفة ايضاً محراب صغير مصلح خال من النقوش ، وتغطيها قبة مظهرها الخارجي مضلع مخروطي الشكل .[٤]

ج ـ تاريخ بنائه : ان الكلمات المنقوشة على مدخل الرواق ـ الى يسار غرفة الضريح ـ تدل على ان هذا البناء هو من قبل الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ ايام ملكه لبلاد سنجار ٦٣٧ ـ٦٥٧هـ/ ١٢٣٩ ـ ١٢٥٩م . وهذه الكلمات هي : «عز مولانا السلطان الملك الرحيم بدر . . . .» . وبدر الدين هذا كان قد أكثر من اقامة المنشآت العمرانية في اطراف مملكته من قصور ودور وحمامات وخانات ومشاهد وسعى الى اعادة تجديد او ترميم الاسوار والقلاع والجسور والمساجد والأضرحة . وخصوصاً الشيعية منها . فالمعلومات كانت قد افادت انه كان قد تقرب من هذه الطائفة واعلن موالاته لأئمتها تحقيقاً لسياسة كان يرمي من ورائها ازالة النفوذ الاتابكي والأيوبي السني والحلول مكانه . وذكر انه لما لم يجد امامه وسيلة افضل ، لجأ الى كسب ود هذه الطائفة ـ التي كانت تشكل الجناح المعارض في ذلك الوقت ـ فنشط في مسايرة زعمائها وسادتها . وأخذ ينشر مذهبها ويدعو اليه . وعمل على رعاية شؤونها وصيانة مؤسساتها والعناية بها . فقيل انه لقب بولي آل محمد . وقيل ايضاً انه ـ رغبة منه في اظهار موالاته لهذه الطائفة وأئمتها ـ كان يرسل في كل سنة الى مشهد الأمام علي بن ابي طالب (سلام الله عليه) في النجف الأشرف قنديلاً مذهباً زنته ألف دينار[٥] .

ان ما ذكرناه من أقسام لهذا البناء يمثل في الواقع الاجزاء الأصلية منه ، والتي ينحصر

تاريخها بين سنة استيلاء بدر الدين لؤلؤ على سنجار سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م وأخذها من صاحبها الملك الأيوبي الجواد يونس بن مودود ، وبين سنة تشييده للاقسام الأخرى المضافة وهي سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م . كما هو مثبت على احدى مداخل غرف الضريح[٦] .

والأقسام الأخرى المضافة هذه فهي تقع الى يسار وخلف غرفة الضريح . وتتكون من ممر يؤدي الى غرفة مربعة تقريباً ، صغيرة مقببة ، تؤدي بدورها الى غرفة مستطيلة غير منتظمة وبصيانات جديدة . طليت الغرفة المربعة المذكورة وجدران الممر بالاسمنت بحيث امحت غالبية الزخارف الرخامية الموجودة . اما باطن القبة فلم يعد يبدو منها شيء . والغرفة المربعة الموجودة في نهاية الممر فعقد الباب من داخلها يحتوي على الواح رخامية معشقة ، عليها كتابة بخط اليد تذكر اسم المؤسس ـ بدر الدين لؤلؤ ـ وتأريخ اضافة هذا القسم . او لعله ـ كما ورد في كتاب القباب المخروطية ـ تأريخ البناء الأصلي وهو سنة أربع وأربعين وستمائة هـ. ولعل الألواح هذه كانت قد قلعت من الأجزاء الرئيسية من البناء واضيفت الى هذا القسم . كما ان الزخارف الموجودة في الممر قلعت هي ايضاً من البناء الأصلي واستخدمت في تجميل هذه الغرفة حيث لا يوجد تناسق في الزخارف ، ولم تعد تبدو بعد ان طليت بالإسمنت[٧] .

ويبدو ان هذا الضريح كان قد اصابه الهدم والتخريب مرات ومرات ، وكان في كل مرة يعاد تجديده او ترميمه ، واذا سلمنا جوازا بما افاد به ابن شداد من كون هذا الضريح او المشهد هو للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وليس لابنته السيدة زينب ، فإنه قد خرّب مع جملة المباني على أيدي التتار الذين استولوا على سنجار في سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢هـ كما قال ابن شداد نفسه . ويظهر انه قد جدد فيما بعد ومن قبل نائب التتر وهو من العجم ويقال له قوام الدين محمد اليزدي ، ورجع الى سابق عهده ومجده حيث عادت تقام فيه صلاة الجمعة من كل اسبوع[٨] .

وذكر ايضاً ان التجديد عاد ولحقه مرة أخرى كما يتضح ذلك من نص مكتوب على لوحة رخامية موجودة على جدار غرفة الضريح من خارج البناء يقول : « . . . جدد مزار الست زينب بنت علي ، العبد الفقير سيدي باشا بن خداد . . . . ثمان عشر شهر ربيع الآخر سنة ١١٠٥هـ[٩] . ومن بين القباب التي لا تزال تشاهد في سنجار وينظر اليها بإعجاب :

د ـ قبتا ضريح الست زينب : احداهما نصف كروية ، تغطي غرفة من غرف الضريح المتحددة وهي الغرفة المربعة الشكل . تقوم على ثلاثة صفوف من المقرنصات . وتقوم فوقها القبة المحارية الشكل . وتحت قاعدتها (اي قاعدة القبة نصف الكروية) يدور شريط كتابي هو تتمة الآية التي تعلو المحراب . أي تتمة الآية التالية : «بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد

الله من آمن بالله ثم اسم المتولي على البناء . وترتفع المقرنصات التي تقوم عليها القبة مقدار ٤,٥م عن الأرض . ويبلغ ارتفاع القبة الكلي حوالي سبعة أمتار . ومن الخارج تكون هذه القبة بل وتظهر بشكل نصف كروية[١٠] .

والقبة الثانية مخروطية . وهي قبة غرفة الضريح . لم يبق من مقرنصات الزوايا فيها سوى أربع دخلات مستطيلة في الجدار الشمالي . وواحدة في الجدار الغربي . كما توجد ايضا اربع زوايا رممت بالجص بحيث محت المقرنصات التي كانت فيها . اما القبة من الأعلى فقد طليت بالجص بحيث فقدت ايضاً كامل معالمها تقريباً . اما من الخارج فالقبة تبدو مضلعة مخروطية الشكل[١١] .

هـ ـ **محاريب مرقد السيدة زينب** : يوجد في مرقد ستنا زينب (سلام الله عليها) محاريب عدة اشهرها المحراب الموجود في جدار القبلة من المصلى الصغير الذي يقع بين غرفة الضريح والغرفة المقابلة لها[١٢] .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شيد هذا المحراب من الحجارة والجص . وغطيت واجهته بطبقة من الجص ايضاً . هو مستطيل الشكل . في داخله مستطيلان . الخارجي منهما ارتفاعه ٣,٧٦م وعرضه ٢,٢٨م ، ويضم في داخله اعمدة ارتفاعها ١,٦٩م ، وارتفاع عقده ١,١٨م ، وسعة فتحته ١,٢٨م وعمقه ٠,٣٧م . اما المستطيل الداخلي فارتفاعه ١,٢٨م وعرضه ٠,٨٣م . ومن الملاحظ ان هذا المحراب يحتل ما يقارب جدار القبلة بكامله[١٣] .

اذن تألف المحراب من مستطيلين متداخلين ، يمتد في اعلى المستطيل الخارجي شريط كتابي عرضه ٠,٦٠م مسجل عليه (بخط الثلث) على ارضية مزهرة يقرأ عليها الاية القرآنية التالية : «بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله . . .» وتساقطت بقية الحروف . والشريط يحيط بجدران الغرفة من جهاتها الاربع[١٤] .

يدنو هذا الشريط اطار زخرفي عرضه ٨,٥ سم يحيط بالمحراب من جهاته الثلاث وقد حفر عليه اشكال وريقات صغيرة وانصاف الاوراق النخيلية وازهار مغلقة . وتربط هذه الاوراق فروع نباتية . وهذه الزخارف بارزة عن مستوى المحراب قليلاً . ويلي هذا شريط كتابي عرضه ٠,٣٠م يحيط بالمحراب من جهاته الثلاث مسجل عليه بالخط النسخي الآية القرآنية التالية وتبدأ من اسفل الجهة اليمنى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض﴾ .

وعلى القسم العلوي من المحراب تستمر تكملة الآية : ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم . .﴾ وعلى الجهة اليسرى : ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه

الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا . . .﴾ . أما تكملة الآية فقد زالت .

ويلاحظ على جانبي تجويف المحراب شكل عمودين يعلو كلا منهما تاج ناقوسي . وليس له قاعدة ، وانما يرتكز على الارض مباشرة . والعمودان خاليان من الزخرفة . ويستقر عليهما عقد مدبب مطول شبيه بالعقد المنفرج . وقد حفرت زخارف متعددة منها ما يشبه العقد المفصص . وحفرت اشكال خطوط متقاطعة . وفي قمة العقد ورقة من ثلاث شحمات وانصاف الاوراق النخيلية وازهار مغلقة . ويتراوح بروز هذه الزخارف بين ٢ و٦ سم . ويحيط بالعقد من خارجه اشكال نباتية تشبه ما هو موجود بداخله . ويدنو من العقد شريط كتابي عرضه ٢٥ , ٠م من الصعب قراءته لأن أكثر حروف كلماته زائلة . وتخطيط ارضية المحراب بشكل مستدير عمقه الكلي ٣٧ , ٠م[١٥] .

والمحراب هذا ليس مؤرخا ، وأغلب الظن أن تاريخه يرجع الى زمن الملك بدر الدين لؤلؤ (٦٣٧ ـ ٦٤٤هـ/١٢٣٩م ـ ١٢٤٦م) اي الى زمن تشييد بناء الضريح بكامله لأن الزخارف النباتية والقنديل والتيجان (تيجان الاعمدة) شبيهة كما يقول صاحب كتاب المحاريب العراقية ـ بالتي على محرابي يحيى بن القاسم والامام عون الدين في الموصل ، وهما من مخلفات بدر الدين نفسه ، وان كان هناك اختلاف من حيث مادة البناء . فمحراب السيدة زينب ﴿سلام الله عليها﴾ بني بالحجارة والجص ، وغطيت واجهته بطبقة سميكة من الجص ، بينما المحرابان السابقان بنيا من الرخام الازرق[١٦] .

---

(١) ذكر الهروي المتوفى في سنة ٦١١هـ/١٢١٤م عند وصوله الى سنجار ما يلي : « . . . وبها مشهد علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) على الجبل» . ولم يذكر انه مزار الست زينب . (الاشارات الى معرفة الزيارات ، ص ٦٦) .

Sourdel, Guide des Lieux de Pélerinages, HL.Harawi, p:147-148.

ـ وكرر ابن شداد المتوفى في سنة ٦٨٤هـ ما قاله الهروي : « . . . وبسنجار مشهد كان ملاصقا للسور يعرف بمشهد علي عليه السلام» الأعلاق الخطيرة ، ج٣ ، ق١ ، ص ١٥٥ .

والسيدة زينب بنت علي ، كانت قد ولدت قبل وفاة جدها النبي محمد علي ﷺ بخمس سنين وتزوجت ـ على ما ذكرته المصادر ـ من ابن عمها عبد الله بن جعفر ، فولدت منه محمداً وعلياً وعباساً وام كلثوم . وصحبت أخاها الحسين في موقعة كربلاء . ثم أخذت مع السبايا الى دمشق وتوفيت في حدود سنة ٦٥هـ . كان قد اختلف في مكان دفنها . فعمر رضا كحالة ذكر انها دفنت بقناطر السباع بمصر وان مسجدها هناك . (اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ، ٢ : ٩٩) . اما الزركلي فقد نفى وجود ضريح للسيدة زينب في مصر وقال : «لم أر في كتب التاريخ أن السيدة زينب بنت علي (رضي الله عنها) جاءت الى مصر في الحياة أو بعد الممات . (الاعلام ، ٣ : ١٠٨) .

ـ يقع الضريح في مكان على جانب كبير من الجمال والروعة . ويروي سكان المدينة المسيحيون ان أصل هذه العمارة كان ديرا للنصارى ، وقد كان فيها صلبان منقوشة أزالها المسلمون عندما أثروا عليهم . وأخذ بعض السكان المسلمين هذه الرواية عن المسيحيين ، وهذا الاعتقاد الشائع ، مرده الى ظاهرة أوسع من هذه وهي ان جميع المنشآت الدينيةكانت تنتقل من دين الى دين آخر حسب هوية المسيطرين . إلا أنه في هذه القضية بالذات ليس هناك دليل عمراني يثبت صحة هذا الاعتقاد ، وقد يجوز في غيره . هذا وينفي الدملوجي وجود أية علامة للصليب المعكوف الذي قيل انه على أحد جدران العمارة حين زار المكان واطلع على محتوياته في زمن سابق . (اليزيدية ، ص ١٨٨) . وتجدر الملاحظة ان بعض عشائر اليزيديين الذي يعرفون بالبابوات (بابوات الست زينب) تجل هذا الضريح وتعظمه .

ـ لاحظ المنظر الخارجي للضريح المرفق في نهاية البحث .

(٢) التوتونجي ، المحاريب العراقية ، ص ١٨١ .

(٣) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق ، القباب المخروطية ، ص ٦٠ . وعلى المدخل الأيمن توجد أيضاً لوحة مستطيلة طولها ١٧ سم وعرضها ١٦ سم سجل عليها : «اهتمام العبد الفقير» وفي أسفلها شكل دائري يبلغ قطره ١٨ سم دوّن عليه : «راجي رحمه الله» وفي أسفلها سجلت العبارة : «يسأل اللهالرحمة أقل الخدم أحمد المنجد» . وملاحظاتنا هذه أكدها التوتونجي في المحاريب ، ص ١٨١ .

(٤) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق ، القباب المخروطة ، ص ٦١ ، وعلى المدخل الأيسر توجد لوحة مستطيلة بنفس القياس السابق حفر عليها «محمد بن زمام السنجاري» . وفي أسفلها شكل دائري سجل عليه العبارة التالية «المعروف بالرشيد» . ويقابل غرفة الضريح غرفة أخرى على ركني مدخلها عبارات كالتي مر ذكرها . وبين الغرفتين يوجد مصلى صغير مساحته ٣,٦٥×٢,٣٥م . وأرضيته مبنية بالحجر والجص . وفي جدار قبلته المحراب . وأكد هذا ما أورده التوتونجي في المحاريب ، ص ١٨١ ،

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ : ٢١٤ . ويقال ان سبب تقرب بدر الدين لؤلؤ من الشيعة كان أيضاً التقوي بهم ضد الحركة العدوية التي كان قد استفحل أمرها في زمنه ويقال انه استطاع بتحالفه معهم القضاء عليها وعلى أتباعها .

«مجلة سومر لسنة ١٩٦٨ ، مجلد ٢٤ ، ج١ و٢ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ، مقال بقلم سعيد الديوه جي ، عنوان المقال : مشهد الإمام يحيى بن القاسم .

(٦) نجاة التوتونجي ، المحاريب العراقية ، ص ١٨٠ .

(٧) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق ، القباب المخروطية في العراق . ص ٦١ ـ ٦٢ . «انظر الاشكال المرفقة في نهاية البحث» .

(٨) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ١٥٥ .

(٩) هذه المعلومات تطابق تماما ما جاء في كتاب «القباب المخروطية في العراق» وذلك في ص ٦٢ . اما في كتاب «المحاريب العراقية» فقد حدث خطأ في تاريخ التجدد فجاء فيه ان سيدي باشا بن خدا قد جدده في الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ١٢٥١هـ . وهذا الخطأ تصححه الأرقام الواردة في النص المكتوب على الجدار وهي واضحة تماما . وثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي ان صاحب كتاب المحاريب كان قد ذكر في بحثه

الخاص بالضريح ان اللوحة التي على المدخل الأيسر قد حملت اسم «محمد بن زمام السنجاري» لذا فمن المحتمل ان يكون هذا الشخص قد جدد أو رمم هذا المرقد قبل أو بعد سيدي باشا بن خداد أو خدا. . .

(١٠) عطا الحديثي وهناء عبد الخالق ، القباب المخروطية في العراق ، ص ٦٠ .

(١١) ورد تعريف لهذه القبة وبنص مطابق لما ذكرناه اعلاه في كتاب القباب المخروطية في العراق» ص ٦١ . هذا وكان الاستاذان طه باقر وفؤاد سفر قد ذكرا في بحثهما المسمى «المرشد الى مواطن الآثار ـ الرحلة الثالثة ، ص ٦٤» . وجود قبة اخرى في سنجار وهي قبة «ستنا زبيدة» وحدداً موقعها في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة . وارجعا بناءها الى الملك بدر الدين لؤلؤ (٦٣٧ ـ ٦٥٧هـ) . والجدير بالذكر هنا انه لا وجود لهذه القبة البتة . ويحتمل ان يكون الاستاذان قد قصدا بها قبة ستنا زينب وان كان هناك خطأ في تحديد جهة الموقع .

(١٢) جاء في بعض النصوص ان مساحة المصلى الذي يقع فيه هذا المحراب هي : ٣,٦٥م×٢,٣٥م . التوتونجي ، المحاريب العراقية ، ص ١٨١ .

(١٣) جاء في كتاب * القباب المخروطية ، ص ٦٠ ان ارتفاع المحراب يبلغ ثلاثة امتار وان عرضه ١,٤٠م

(١٤) انظر الكتابة التي تظهر في الصورة المرفقة بالبحث .

ـ انظر النص الذي ورد في كتاب «المحاريب العراقية ، ص ١٨٢» ، لأخذ المزيد من المعلومات الخاصة بالمحراب .

(١٥) وردت هذه التفاصيل في كتاب «المحاريب العراقية ، ص ١٨٣» . ويلاحظ ان عمق هذا المحراب قليل بالنسبة لكبر حجمه وضخامته .

(١٦) التوتونجي ، المحاريب العراقية ص ١٨٣ .

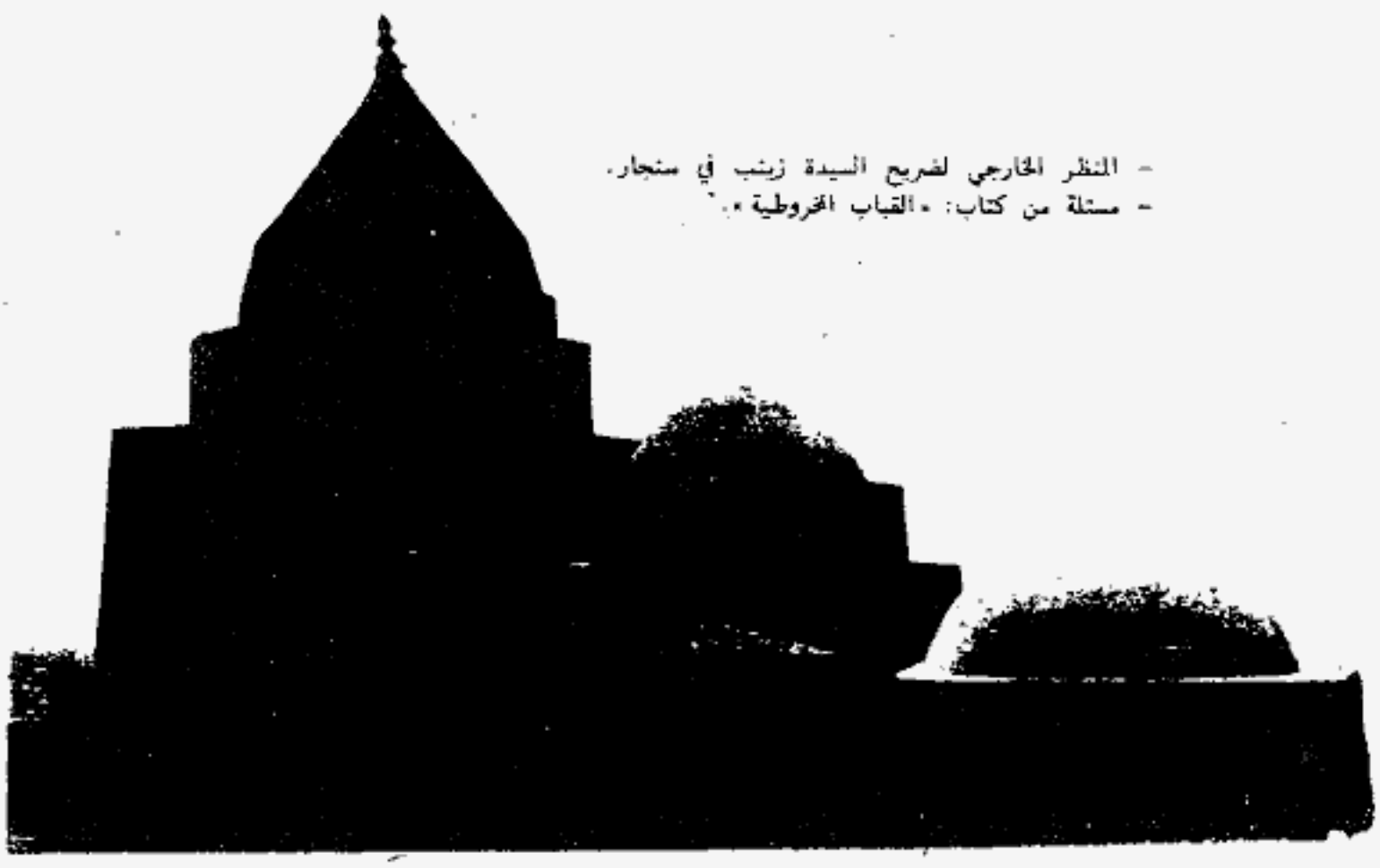

- المنظر الخارجي لضريح السيدة زينب في سنجار.
- مستلة من كتاب: «القباب المخروطية».

مشاهد من الوقف الزينبي بالقاهرة

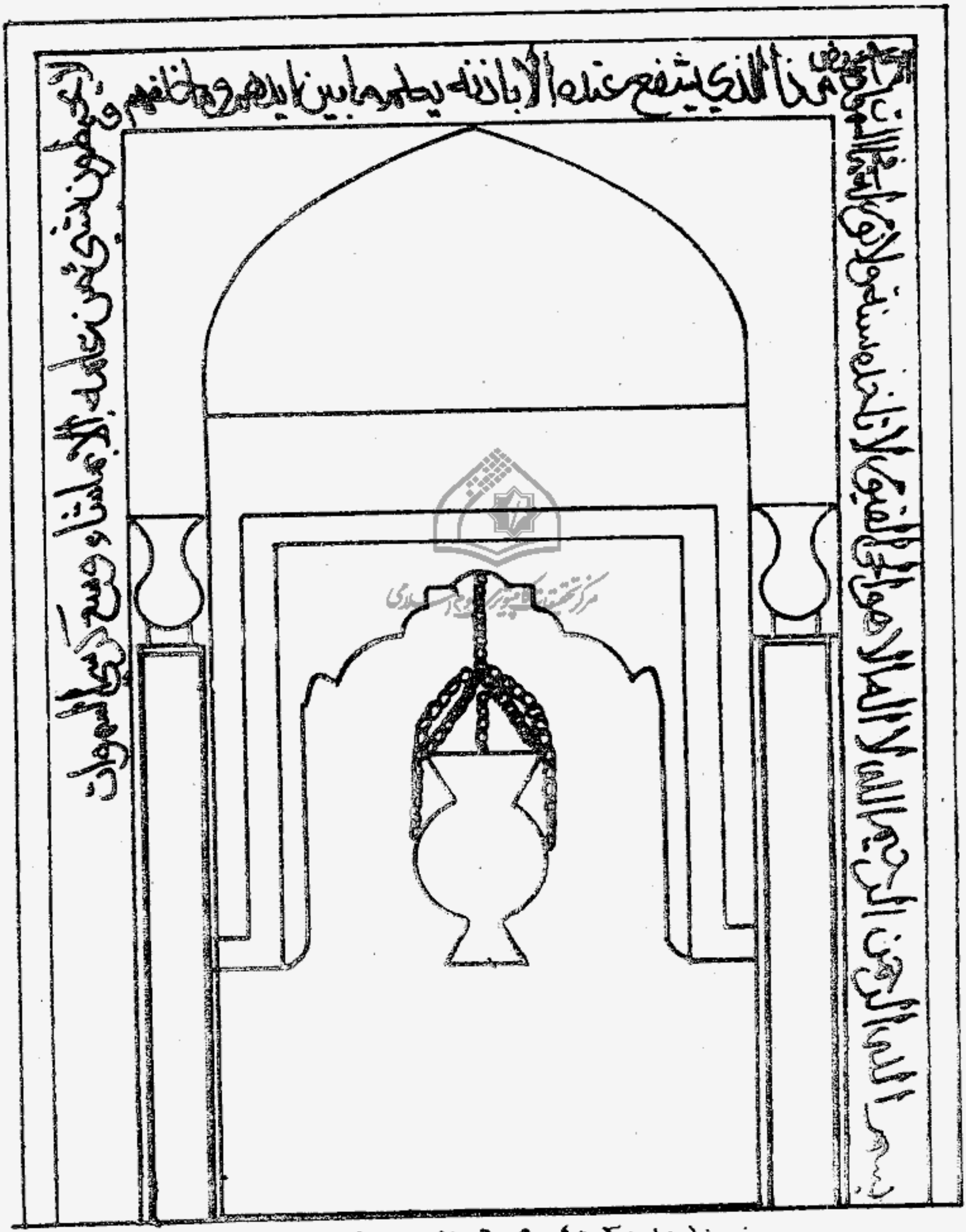

- واجهة محراب الست زينب في سنجار